

الأمثل في تفسير كتاب الأمثل المنزل

[135] التفسير هل الأمثل يضرب المثل؟! الفقرة الأولى من الآية تقول: (إِنَّ سَاءَ لَنَا مَثَلًا وَنَسْوَثِ الْمَثَلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْلُقُوهَا فَمَا تَبْعُوا مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا تَتْلُو قَوْلًا). ذلك لأن المثل يجب أن ينسجم مع المقصود، بعبارة أخرى، المثل وسيلة لتجسيد الحقيقة حين يقصد المتحدث بيان ضعف المدعي وتحقيره فإن بلاغة الحديث تستوجب انتخاب موجود ضعيف للتمثيل به، كما يتضح ضعف أولئك. في الآية (73) من سورة الحج مثلاً يقول سبحانه: (إِنَّ السَّادِّينَ تَدْعُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ لَنُيَخْلِقُنَّ ذُرِّيًّا بَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّرِّيَّاتُ شَيْئًا لَّأَيَسْتَنْذِقُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ). يلاحظ في هذا المثل أن الذباب وأمثاله أحسن وسيلة لتجسيد ضعف هؤلاء. وهكذا في الآية (41) من سورة العنكبوت، حين يريد القرآن أن يجسد ضعف المشركين في انتخابهم أولياء من دون الله، يشبههم بالعنكبوت التي تتخذ لنفسها بيتاً، وهو أضعف البيوت وأوهنها: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنَ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْوَعْدِ الْكَافِيَّةِ اتَّخَذَتْ بِعِيَتًا، وَإِنَّ أَوْلَهُنَّ الْيُدْيُوتِ لَبَيْتُ الْوَعْدِ الْكَافِيَّةِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). من المؤكد أن القرآن لو ساق الأمثلة في هذه المجالات على الكواكب والسموات لما أدرى الغرض في التصغير والتحقير، ولما كانت أمثله متناسبة مع أصول الفصاحة والبلاغة، فكأن الله تعالى يريد بهذه الأمثلة القول: بأنه لا مانع من التمثيل بالبعوضة أو غيرها لتجسيد الحقائق العقلية في ثياب حسنة وتقديمها للناس. الهدف هو إيصال الفكرة، والأمثلة يجب أن تتناسب مع موضوع الفكرة، ولذلك فهو سبحانه يضرب الأمثلة بالبعوضة فما فوقها.